دور منظمات المجتمع المدني في تنمية الصناعات والحرف اليدوية وتعزيز قدرتها على الإبداع

د. سوسن إبراهيم رجب

المعهد التقني

كركوك

The Role of Civil Society Organizations in the Development of Industries and Handicraft Enhance their Creativity

تاريخ استلام البحث ٢٠١٢/١١/٣ تاريخ قبول النشر ٢٠١٣/١٢/١١

المستخلص

تناول البحث دور منظمات المجتمع المدني في تنمية ال حرف والصناعات اليدوية في العراق، بهدف التعرف على الحرف والصناعات اليدوية ودور منظمات المج تمع المدني في دعم وتعزيز الوضع التنافسي لهذه الصناعات ودورها في امتصاص البطالة والتقليل من حدة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عنها.

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي لمتغيراته المتمثلة بمنظمات المجتمع المدني من حيث المنشأة والتطور والمفهوم ، كم ا تناول البحث الصناعات والحرف ال يدوية من حيث المفهوم والخصائص والأهمية.

تمخض عن البحث مجموعة من الاستنتاجات والمقترحات والتي نأمل أن تسهم في الارتقاء بمستوى أداء منظمات المجتمع المدني والارتقاء بواقع الصناعات والحرف اليدوية.

Abstract

The research touched on the role of civil society organizations in the development of crafts and handicrafts in Iraq, acquainted with the trades and handicrafts, and the role of civil society organizations in supporting and strengthening the competitive position of these industries and their role in the absorption of unemployment and alleviating economic and social problems resulting therefrom.

The research adopted a descriptive approach to the variables of civil society organizations in terms of youth development and concept, also addressed the search and handicraft industries in terms of concept, characteristics and importance.

Search resulted in a set of conclusions and proposals which we hope will contribute to upgrading the performance of civil society organizations and upgrading by industries and handicrafts.

المقدمة

تُعَدُّ الصناعات الحرفية واليدوية من أهم الموروثات التقليدية التي توارثتها الأجيال ، فهي تمثل الهوية الوطنية للإنسان ، كما أنَّها تجسد تراث الوطن وتنبع من صميم البيئة ، وهي مظهر للعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية والإنسانية ، وجزء لايتجز أ من الرموز الوطنية العريقة ذات الأصالة التاريخية الشامخة.

كما إنَّها تعبر في ذات الوقت عن ثقافة أمة ووطن ، كان له طابع الإبداع في استخراج مواد وأدوات أعانت الإنسان في حياته اليومية في ذلك الوقت الذي اعتمد فيه كلي اً على الصناعات اليدوية والحرفية.

أخذت الصناعات الحرفية واليدوية في ا لعراق طابع التنوع والتميز ، وذلك بفضل التنوع الجغرافي والإنساني للبيئة العراقية ، فهي تضم مخ تلف الطوائف والقوميات والاثنيات ، أدى هذا التنوع البشري إلى تنوع ثقافات ومهارات الحرفيين، إضافة إلى تنوع البيئة الجغرافية، إذ تضم بيئات جبلية وريفية وحضرية وبدوية، إضافة إلى تنوع الخامات الطبيعية المتوفرة الأمر الذي ساعد هو الآخر في تنوع الحرف والصناعات اليدوية وتعدد أشكالها.

المحور الأول : منهجية الدراسة

١ مشكلة البحث:

أدّت التطورات السريعة في مجال تقنيات المعلومات والاتصالات ال تي شهدها العالم في العقدين الأخيرين إلى تحول العالم إلى قرية صغيرة ، ساهم بشكل كبير في اختفاء العديد من الصناعات والحرف اليدوية التي يتميز بها المجتمع العراقي ، كما إنَّ إغراق السوق العراقية بالمنتجات الصينية أفقد هالهوية التراثية وساعد على اندثار بعض من تل ك الحرف والصناعات اليدوية إن لم يكن جميعها.

وتُعَ الحرف اليدوية واحدة من مقومات الهوية العراقية ، ومصدراً ثرياً للنهوض بالصناعات الصغيرة والمتوسطة التي تسهم بشكل كبير في توفير فرص العمل وامتصاص جزء كبير من البطالة المتفشية في المجتمع العراقي، من هذا المنطلق بدأت العديد من منظمات المجتمع المدني بالبدء ببرامج إعادة إحياء هذه الحرف والمهارات الصناعية اليدوية من خلال القيام بالبرامج التدريبية التي تعمل على تدريب وتأهيل الحرفيين والصناعيين ، إضافة إلى برامج تسويقية وإدارية حول كيفية إدارة هذه المشاريع وتسويق منتجاتها سواء في السوق المحلية أو السوق الدولي.

بل إنَّ بعضاً من تلك المنظمات تمكنت من خلال التعاون مع منظمات وجهات مالية من توفير الدعم المالي اللازم لإحياء هذه الحرف والمهارات وذلك من خلال دعم المشاريع الحرفية واليدوية ، ويكون الدعم المالي م ن خلال توفيرها للقروض اللازمة أو من خلال توفير المنح المالية اللازمة لدعم وتعزيز هذه المشاريع والنهوض بها ، وكل هذا كان بهدف الحفاظ على هذه الحرف والصناعات اليدوية من الانقراض ، والمحافظة على هوية هذه الصناعات التراثية وإحياء تاريخها العريق، وتخفيف مشكلة البطالة.

ومن هنا جاء هذا البحث لتحليل الوضع الراهن لمنظمات المجتمع المدني ودورها في تنمية الحرف والصناعات اليدوية، واتساقا مع ما تقدم فـإنَّ عرض التساؤلات الآتية يمكن أن يسهم في توضيح

٢- مشكلة البحث:

١- هل تمتلك منظمات المجتمع المدني المقومات اللازمة لدعم الحرف والصناعات اليدوية؟

٢- هل تتبنى إدارات منظمات المجتمع المدني برامج تدعم من خلالها الحرف والصناعات اليدوية؟

٣- هل تتمكن منظمات المجتمع المدني من توفير الدعم المالي واللوجستي الكافي لدعم الحرف والصناعات اليدوية؟

٣- أهداف البحث:

١- دعم وتعبئة الجهود لإحياء الحرف والصناعات اليدوية على مستوى العراق.

٢- تحليل الوضع الراهن لمنظمات المجتمع المدني ودورها في تنمية الحرف اليدوية.

٣- فروض البحث:

تماشياً مع أهداف البحث فقد اعتمد البحث على فرضيتين رئستين وهما:

١- هناك دور لمنظمات المجتمع المدني في تنمية الحرف والصناعات اليدوية والمحافظة عليها.

٢- تسهم تنمية الحرف والصناعات اليدوية في التخفيف من مشكلة البطالة.

٤ـ أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته من الآتي:-

١- المحافظة على الحرف والصناعات اليدوية في العراق والعمل على حمايتها من التدهور وتطويرها وإخراجها من الحالة المتحفية إلى الحالة الاستخدامية المعاصرة، والسبيل إلى تطويرها وحمايتها من التدهور والتقليد والتراجع عن أصولها التاريخية ومدلولاتها الحياتية هو تحديثها وتجديدها والإضافة إليها بتوظيف عنصر الإبداع توظيفاً جديداً صحيحاً وصياغة بنائية تحتضن وتنمى وتساعد تلك الصناعات للخروج من حالة الركود والتراجع التي وصلت إليه.

٢ -تعبئة كافة الجهود والموارد الذاتية، في إطار العمل المدني من خلال منظمات المجتمع المدني نحو تبنى آليات حديثة ومتطورة لرفع القدرات التنافسية لمنتجات الصناعات الحرفية واليدوية تعمل على حماية المنتج التقليدي وتطويره وفق أسس عصرية لزيادة الإنتاج وتقديم منتجات حديثة ومتطورة تحمل الطابع والهوية المميزة للعراق، بحيث تكون قادرة على المنافسة في الأسواق الاستهلاكية، ومواجهة المتغيرات الاقتصادية العالمية.

٣- أبراز قيمة عمل منظمات المجتمع المدني المنظم في المساهمة في تطوير واقع الصناعات والحرف اليدوية، من أجل رفع جودة مخرجاتها بما يتلاءم مع احتياجات المستقبل.

٤- أبراز دور منظمات المجتمع المدني في توفير الفرص لدراسة كفاءة استخدام الإمكانيات المتاحة بالإضافة إلى الإمكانيات غير المستخدمة ، بهدف تعظيم القيمة المضافة بواسطة الأفكار الإبداعية.

٥- إحياء التراث الحرفي اليدوي ، والحفاظ على التراث العرا قي والقيم والمعتقدات الدينية والاجتماعية والإنسانية التي تتوارث في مجال الإبداع ال تقني في الحرف والصناعات اليدوية ، ووضع برامج تصنيع أصناف ممتازة ومتميزة من المنتجات الحرفية ذات تصميمات مرتبطة بالهوية والأصالة العراقية ، بالإضافة إلى وضع تصور أولي لتأهيل وإعادة تأهيل الصناعات الحرفية اليدوية، والأسس العلمية لتكوين المشاريع الحرفية الجديدة.

٦- تسهم جهود منظمات المجتمع المدني في دعم وتنمية الحرف والصناعات اليدوية لما لها من أثر في التخفيف من حدة مشكلة البطالة.

٥- الأسلوب العلمي المستخدم:

يعتمد البحث علي الأسلوب الأكاديمي لتحليل الوضع الراهن لمنظمات المجتمع المدني في العراق ، ودورها في تنمية الصناعات والحرف اليدوية.

المحور الثاني : منظمات المجتمع المدني ، النشأة والتطور

١- نشأة وتطور منظمات المجتمع المدني

نشئ مفهوم المجتمع المدني لأول مرة في الفكر اليوناني الاغريقى حيث أشار إليه أرسطو باعتباره "مجموعة سياسية تخضع للقوانين" أي أنه لم يكن يميز بين الدولة والمجتمع المدني، فالدولة في التفكير السياسي الأوروبي القديم يقصد بها مجتمع مدني يمثل تجمعا سياسياً أعضاؤه هم المواطنون الذين يعترفون بقوانين الدولة ويتصرفون وفقاً لها (SAURUGGER,2009,480). تطور المفهوم بعد ذلك في القرن الثامن عشر مع تبلور علاقات الإنتاج الرأسمالية حيث بدأ التمييز بين الدولة والمجتمع المدني .. فطرحت قضية تمركز السلطة السياسية وأن الحركة الجمعياتية هي النسق ال لاحق للدفاع ضد مخاطر الاستبداد السياسي .وفى نهاية القرن الثامن عشر تأكد في الفكر السياسي الغربي ضرورة تقليص هيمنة الدولة لصالح المجتمع المدني الذي يجب أن يدير بنفسه أموره الذاتية وأن لا

يترك للحكومة إلا القليل .وفى القرن التاسع عشر حدث التحول الثاني في مفهوم المجتمع المدني حيث اعتبر كارل ماركس أن المجتمع المدني هو ساحة الصراع الطبقي.

وفى القرن العشرين طرح جرامشى مسألة المجتمع المدني في إطار مفهوم جديد فكرته المركزية هي أن المجتمع المدني ليس ساحة للتنافس الاقتصادي بل ساحة للتنافس الايديولوجى منطلقا من التمييز بين السيطرة السياسية والهيمنة الأيديولوجية (خليل ، ٢٠٠٠، ١٢)، فمع نضج العلاقات الرأسمالية في أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر وانقسام المجتمع إلى طبقات ذات مصا لح متفاوتة أو متعارضة واحتدام الصراع الطبقي، كان لابد للرأسمالية (أي الطبقة السائدة) من بلورة آليات فعالة لإدارة هذا الصراع واحتوائه بما يضمن تحقيق مصالحها واستقرار المجتمع. ونجحت الرأسمالية الأوروبية بالفعل في أن تحقق هذا الهدف من خلال آليتين: آلية السيطرة المباشرة بواسطة جهاز الدولة، وآلية الهيمنة الأيديولوجية والثقافية من خلال منظمات اجتماعية غير حكومية يمارس فيها الأفراد نشاطاً تطوعياً لحل مشاكلهم الفئوية والاجتماعية وتحسين أوضاعهم الثقافية والاقتصادية والمعيشية (Salamon, 2010, 200) . وتأتى أهمية الآلية الثانية من أنَّها تؤكد استجابة مختلف الفئات الاجتماعية بقيم النظام الرأسمالي وقبولها لها وممارستها نشاطها للدفاع عن مصالحها في إطارها، وبذلك تتأكد قدرة الطبقة السائدة (الرأسمالية) على إدارة الصراع في المجتمع بما يدعم أسس النظام الرأسمالي وأيديولوجيته (عبد المطلب ، ٢٠٠٦ ، ٨٩) .

٢- تعريف منظمات المجتمع المدني

استقر الرأي من خلال الدراسات الأكاديمية والميدانية والمتابعة التاريخية لنشأته وتطوره أن المجتمع المدني هو "مجموعة التنظيمات التطوعية الحّ رة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، أي بين المنظمات العائلية ومنظمات الدولة التي لا مجال للاختيار في عضويتها " (Edwards , 2009, 45)، هذه التنظيمات التطوعية الحّ رة تنشأ لتحقيق مصالح أفرادها أو لتقديم خدمات للمواطنين أو لممارسة أنشطة إنسانية متنوعة، وتلتزم في وجودها ونشاطها بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والمشاركة والإدارة السلمية للتنوع والاختلاف، والمجتمع المدني هو مجتمع مستقل إلى حد كبير عن إشراف الدولة المباشر، فهو يتميز بالاستقلالية والتنظيم التلقائي وروح المبادرة الفردية والجماعية، والعمل التطوعي، والحماسة من أجل خدمة المصلحة العامة، والدفاع عن حقوق الفئات الضعيفة، ورغم أنَّ ه يعلى من شأن الفرد إلا أنَّه ليس مجتمع الفردية بل على العكس مجتمع التضامن عبر شبكة واسعة من المنظمات

(الجنحاني ، ١٩٩٩، ٣٦).وللمجتمع المدني بهذا المفهوم أربعة مقومات أساسية هي (Samon , 2010, 169):

أ- الفعل الإرادي الحر أو التطوعي

ب- التواجد في شكل منظمات.

ت- قبول التنوع والاختلاف بين الذات والآخرين

ث - عدم السعي للوصول إلى السلطة.

٣-عناصر تكوين منظمات المجتمع المدني

تستند أقامة وتكوين منظمات المجتمع ال مدني إلى أربعة عناصر أساسية وهي : (احمد، ٢٠٠٥، ٢٢١)

* العنصر الأول: العمل الطوعي (التطوعي) .

* العنصر الثاني: مجتمع المدني منظم يقوم على أسس تنظيمية .

* العنصر الثالث : غاية وأهداف منظمات المجتمع المدني واستقلاليتها عن الحكومة.

*العنصر الرابع: ضرورة النظر إلى مفهوم المجتمع المدني باعتباره جزءاً من منظومة مفاهيمية أوسع تشتمل على مفاهيم مثل :الفردية، المواطنة، حقوق الإنسان، المشاركة السياسية، والشرعية الدستورية.

٤- منظمات المجتمع المدني والصناعات والحرف اليدوية

لمنظمات المجتمع المدني دور هام وفعال في بناء قوة ثقافية للحرف والصناعات اليدوية وتحديدا في مواجهة العولمة وتحدياتها وإفرازاتها وتأثيراتها ، كذلك في الاستفادة من هذه الأنشطة لإحداث نهضة اجتماعية ثقافية تسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية للأفراد والمجتمع تشكل خط دفاعٍ يصون ثقافتنا من الاندثار ويصونها من الذوبان في غيرها. ويتجلي دور منظمات المجتمع المدني في العديد من الأنشطة والتي تُعد آليات عمل مبتكرة تسهم في فتح آفاق جديدة تمكن هذه الحرف من الخروج من النطاق المنزلي المحلي إلى النطاق القط ري وتجاوز هذا النطاق إلى الدولي، بعده وسيلة نقل وترويج لثقافة شعب ومجتمع فضلاً عن فتح أسواق غير تقليدية تتمثل بالأسواق التراثية والتي تُعد مصدراً ثراً للسياحة والاقتصاد على حد سواء . فضلاً عن دور هذه المنظمات بدعمها لهذه الحرف والصناعات والمتمثل بتنمية مناطق تواجد وانتشار هذه الحرف والصناعات تراثياً وتحويلها إلى مراكز تسوق سياحية، باعتبار أنَّ التميز المحلى سبيلاً للعالمية

وتأكيدًا للهوية في نطاق العولمة وتحدياتها . ويمكن من خلال منظمات المجتمع المدني تفعيل انعكاسات السمات التراثية على المنتج الحديث، كأحد عناصر الجذب السياحي التي تتمتع بها مناطق إنتاج الصناعات والحرف اليدوية وإمكانية أن تدرج على قوائم المقاصد السياحية، وبذلك تصبح منظمات المجتمع المدني وسيلة لتحقيق نقلة حضارية للقطاع الحرفي اليدوي مع الحفاظ على أصالته وهويته، وباعتبارها منظومة وبوتقة إبداع ذات سمات حضارية حديثة للصناعات والحرف اليدوية لتصميمات حديثة ترضى أذواق الزبائن وترفع القيمة الاقتصادية للمنتج وفي ص الح للتصدير .

إنَّ التفاعل والموائمة بين القوانين والأنظمة المنظمة للمجتمع مع منظمات المجتمع المدني من خلال الدعم المقدم والمتمثل في شكل تشريعات فاعلة مع منح ومزايا وتسهيلات وإعفاءات ضريبية وجمركية وغيره ا، يضيف إمكانيات جديدة لواقع منظمات المجتمع ا لمدني في التحفيز على إبداع تقنيات ذاتية جديدة وتحسين عملية إدارة المحتوى التراثي ومراقبة ومراجعة المنتجات الحرفية اليدوية تاريخياً وفنياً واعتماد جودتها وأصالتها . إذ أثبتت منظمات المجتمع المدني في التجربة العالمية كفاءة عالية في إمكانية رفع مستوى الجودة وخفض التكلفة وإقامة بيئة إبداعية وطنية قادرة على توفير تصميمات صناعية جديدة ومبتكرة ودعم الكفاءات اللازمة من حيث تقديم الاستشارات والتصاميم وتأهيلها لتلبية الحاجات العصرية والمستقبلية لمشروعات الصناعات والحرف اليدوية . وأيضاً في دعم الأنشطة الفاعلة لمكافحة الفقر والتنمية البشرية وحل مشكلة البطالة وتنمية أنشطة الصناعة اليدوية الحرفية ليس فقط في الوسط الريفي بل والحضري أيضاً ، وتوليد فرص التسهيلات التمويلية والائتمانية لإقامة مشاريع الصناعات والحرف اليدوية، وإنشاء هياكل تنظيمية نوعية لمثل هذه المشاريع لتحقيق إدارة عصرية واقتصادية تتيح فرص للأداء الجيد من خلال التدريب وبناء القدرات وتقوية المهارات وتطوير الخبرات . ويمكن الإشارة إلى بعض المجالات التي تسهم من خلالها منظمات المجتمع المدني في دعم وتنمية الحرف والصناعات اليدوية (موسى، ٢٠١٢، ٢):

١- توفير الخدمات:

وهي المهام التقليدية التي دأبت على القيام بها منظمات المجتمع المدني منذ عقود، وتجدر الإشارة إلى أنَّ المجتمع المدني يتمتع بقدرات فنية وتقنية عالية تمكنه من توفير نوعية مقبولة من الخدمات، فضلاً عن قدرته في الوصول إلى الفئات الأكثر حاجة ولاسيما في الأرياف والمناطق النائية.

٢- المساهمة في العملية التنموية من خلال تقوية وتمكين المجتمعات المحلية:

بناء القدرات وتنمية المهارات والتدريب بمختلف المجالات التنموية كالتخطيط الاستراتيجي وصياغة البرامج التنموية وتنفيذها وتوسيع المشاركة الشعبية فيها.

٣- المساهمة في رسم السياسات والخطط العامة:

من خلال اقتراح البدائل والتفاوض عليها أو التأثير في السياسات العامة لإدراج هذه البدائل فيها.

وتأسيساً على ما تقدم نرى أنَّ لمنظمات المجتمع المدني دوراً وإسهاماً فاعلاً ليس فقط في الحفاظ على هذه الحرف والصنا عات اليدوية بل في تنميتها وتطويرها وإخراجها من حيز المحلية والقطرية إلى حيز العولمة ، إذ تُعَدُّ هذه المنظمات أداة ووسيلة لدعم ومساعدة القائمين والممارسين لهذه الحرف ووسيلة لنقلها إلى أسواق ذات أبعاد جديدة غير المتعارف عليها ضمن المحتوى المحلي وعليه تتحقق الفرضية الأولى والتي تفيد بأنَّ (هناك دور لمنظمات المجتمع المدني في تنمية الحرف والصناعات اليدوية والمحافظة عليها).

المحور الثالث : الصناعات والحرف اليدوية في العراق

١ مفهوم الصناعات والحرف اليدوية

وجدت الصناعات التقليدية والحرف اليدوية مُرتَبِطَةً بِداية الإنسانِ وكانت عنايتَه الأولى حِماية جسده فاستخدم جلد الحيوانات غطاءً. واعتاد إنسان ما قبل التاريخ على العمل اليدوي لتوفير ما يحتاج إليه لعدم وجود الآلات ، وظل العمل اليدوي المصدر الوحيد لصنع الأشياء لآلاف السنين (حجازي ، ١٤١٤ ، ٥٦). تُعَدُّ الصناعات التقليدية من أوثق عناصر الثقافة المادية ارتباطاً بالإطار الاقتصادي الاجتماعي لأي مجتمع . فهي التي تنتج للمجتمع أدوات البيت وأثاثه وقطع الزي وهي قبل هذا وبعد هذا تصنع كافة العناصر المادية التي يحتاجها الإنسان، ثم اختلفت معالم الصورة الآن اختلافـًا يكاد يكون كلي اً. فحيث تغير الهيكل الاقتصادي الاجتماعي وتغيرت الصناعات التقليدية وتغير العمل وتغيرت الأدوات وحلت محلها الأدوات والمعدات الحديثة (الصابوني والسرميني ، ٢٠٠٩، ٦٠٣). ومع تغير الإطار العام لهذه الصناعات ، كانت النتيجة الطبيعية أن تختفي بعض الصناعات التقليدية ، أو على الأقل تتدهور تدهوراً شديداً، فانصرف الناس عنها، وأصبحت القلة التي تمارسها تفكر في الانصراف عنها إلى أعمال أكثر ربحاً، بحيث لا تتوفر أجيال جديدة للاشتغال بها وتعلمها.

ومن هنا تتأتى أهمية حماية الصناعات التقليدية بعد التطور الثقافي العام فهي موروث ثقافي وحضاري عبر العصور يجب المحافظة عليه وتطويع التكنولوجيا الحديثة لحمايتها والاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة للترويج لها ولكي تكون الأدوات التكنولوجية عاملاً مساعداً في الحفاظ على هذه الصناعات التراثية. فجوهر عملية الحفاظ والحماية تكمن في استمرارية حياة منتجات الصناعات التقليدية ذات القيمة التراثية ووضع التشريعات والقوانين في سبيل حمايتها (السبعاوي ، ٢٠١٢، ١١٢).

٢- تعريف الحرف والصناعات اليدوية

هي المهارة الخاصة أو القدرة على التفنن في صنع الأشياء يدوياً. والحرفة اليدوية قد تعني صنع الأشياء المفيدة، كالسلال أو الآنية أو البُسط. وقد تعني أيضاً صنع الأشياء الجميلة لأغراض الزينة ، كالمجوهرات ونوافذ الزجاج المعشق بمعدن الرصاص ، والمعلقات الجدارية، والمنحوتات الخشبية وبعض هذه الحرف وصلت إلى درجة رفيعة من الإتقان أمكن اعتبارها فناً من الفنون (عياد ، ١٩٩٧ ، ٥).

كما يمكن تعريفها على أنَّها تلك الصناعات اليدوية التي يقوم بمزاولتها فرد أو مجموعة أفراد لغرض أنتاج أو تصنيع منتجات حرفية من المادة المحلية الطبيعية بالطرق التقليدية بهدف استخدامها في الاحتياجات اليومية للأفراد أو للمنشات أو لغرض الاقتناء الدائم أو المؤقت (صبحي ، ٢٠٠١، ٧٧)، ويعتمد الحرفي في عمله على مهاراته الفردية الذهنية واليدوية التي اكتسبها من تطور ممارسته للعمل الحرفي باستخدام الخامات الأولية المتوفرة في البيئة الطبيعية المحلية (أصيل ، ٢٠١٠، ٩٤).

تعتبر الصناعات اليدوية من أقدم الصنا عات التي عرفتها البشرية قبل الثورة الصناعية ويعتبر العراق من بين الدول التي تهتم بهذه الصناعات اليدوية والتي من خلالها يمكننا التعرف على تاريخ طويل من الصناعات اليدوية.

٣ خصائص الحرف والصناعات اليدوية

تتميز الحرف والصناعات اليدوية بالعديد من الخصائ ص التي تفردها وتـميزها ، ويمكن إدراجها كما يأتي (السبعاوي، ٢٠١٢ ، ١١٦)

١- من المنظور الإنتاجي يعتبر الإنتاج منخفضاً و ذلك لعدم قدرة و سائل الإنتاج على الإنتاج الكمي

٢- الدخل المنخفض لأنَّ العاملين ذوي أجر منخفض سواء من النساء أو الأطفال أحياناً
٣- لا يشترط الحصول على سجلات أو تراخيص للقيام بالعمل و بالتالي لا يتمتع الحرفي بأية ميزات تجارية أو إعفاء
٤- كثير من الحرف متوارثة وإن كان البعض فردي و الخامات من نفس منطقة الحرفي
٥- الصناعات الحرفية ليست منظمة على مستوى المحافظة أو حتى الدولة و هذا ليس له أثر في الإنتاج و التسويق.

٤- أهمية الحرف والصناعات اليدوية

تنعكس أهمية الحرف والصناعات اليدوية في أنَّ بعض المنتجات الحرفية ذات دلالة على جوانب الهوية الوطنية للدولة المنتجة للحرف والصناعات اليدوية ، وفيما يلي عرض لأهمية الحرف والصناعات اليدوية : (Lee,et.al , 2010, 295) ، (كامل ،٢٠١١، ٢٤)،(,2010, Azimi, *et.al*. 118)، (Albayrak , 2012. 423)

أ - الأهمية الثقافية:

بصفة عامة ينظر إلى الصناعات الحرفية اليدوية على أنها مرآة تعكس جانباً من جوانب الهوية الوطنية للبلد، وتعتبر تراثاً وطنياً تحافظ عليه معظم الدول كجزء من هويتها وأصالة شعوبها ورمزاً لعراقتها وحضارتها وتطورها، وكانت الصناعات اليدوية حتى ماضي قريب تفي بكل متطلبات ومستلزمات المستهلك وكانت منتجاتها متوافقة مع الأنماط المعيشية السائدة في المدن والأرياف وتساهم بتوفير حاجات الإفراد المختلفة من ملبس وأث اث ومسكن وغيرها من مستلزمات الحياة اليومية في جميع الميادين وتبعاً للتغيرات الاقتصادية و الاجتماعية التي اجتاحت العالم وأدت إلى تغيرات عميقة في سلوكيات وحاجيات الأفراد وأنماط الاستهلاك فقد أنحسر العمل في مجال الصناعات الحرفية وذلك بفضل التقدم والنمو الاقتصادي الذي بلغته المجتمعات الإنسانية والانتقال من مرحلة الإنتاج اليدوي إلى مرحلة التصنيع الآلي حيث شهدت منتجات الصناعات اليدوية في العالم تنافساً شديداً من جانب السلع المصنعة باستخدام الآلات ويرجع ذلك إلى أسباب منها القدرات الإنتاجية العالية للآلات أو إدخال التقنيات الحديثة إضافة إلى اكتشاف مواد خام جديدة بديلة واستخدامها كبديل للخامات المحلية، فضلاً عن زيادة تفضيل بعض المستهلكين للسلع أو المنتجات المصنعة آلياً ولاسيما إذا صاحب ذلك انخفاض في سعرها وملامتها لخدمة حاجياته بصورة أفضل، ونتيجة لكل ذلك برزت اتجاها ت مختلفة لمسألة التعامل مع الصناعات اليدوية،

فهناك رأي ينظر إليها من منظور ضرورة الإبقاء عليها دون تجديد أو تعديل وهناك رأي ثاني يرى أنَّ من الأكثر صواباً هو إدماج هذه الحرف في عجلة الصناعة الحديثة وإهمال ما لا يقبل الإدماج إلى أن يندثر تلقائياً، أمَّا الرأي الثالث فيرى أنَّ الصناعات اليدوية يجب التعامل معها كتراث وطني يلزم المحافظة عليه وكصناعة توفر فرصاً للعمل لامتصاص البطالة وتحسين مستوى الفرد سواء في الإنتاج والتسويق الذي يجب أن يتلاءم مع رغبات المستهلكين بصفة عامة ومع رغبات بعض الفئات الأخرى ذات الاهتمام باقتناء المنتجات اليدوية بصفة خاصة كالسياح.

ب – الأهمية الاجتماعية:

تعتبر البطالة مشكلة اجتماعية خطيرة ، فهي تمثل هدراً للطاقة وتترتب عليها الكثير من الآثار المدمرة على الفرد والمجتمع فالبطالة تقود إلى الجريمة وتؤدي إلى انفراط الأمن والاستقرار الاجتماعي وإلى كثير من العوامل الأخرى التي تهدد النسيج الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع، ونظراً لهذه الآثار المرتبطة بالبطالة ، فإنَّ التعامل مع هذه الظاهرة والقضاء عليها أصبح من أولويات السياسات والخطط التنموية للدول النامية والمتقدمة على حد سواء .. وتعتبر الصناعات اليدوية إحدى المجالات التي تساهم في حشد وتعبئة القوى العاملة الوطنية وتحسين مدى المشاركة في النشاط الاقتصادي وذلك من أجل دفع عجلة الاقتصاد وتحقيق التنمية وفي هذا السياق تعتبر إتاحة الفرصة لاستيعاب النساء العاملات وهى إحدى الوسائل الهامة لبلوغ ذلك الهدف، وترك ز خطط التنمية التي يتم وضعها لزيا دة فرص العمل وإيجاد وظائف جديدة ، وما يتم استحداثه من وظائف سيكون متاحاً خاصة أن الصناعات اليدوية هي أحدى المجالات التي لا تتردد المرأة عن العمل فيها، لاسيما أن معظم العمل في المنزل دون الحاجة إلى الانتقال إلى أماكن العمل مم ا يعني أن هذا المجال يمتلك إمكانية تعبئة كافة الموارد البشرية غير المستغلة، أضف إلى ذلك فإنَّ طبيعة العملية الإنتاجية والتسويقية المرتبطة بهذه الحرف تجعل من الذين لا يرغبون أو لا يستطيعون ترك مكان إقامتهم من مزاولة العمل في بعض الصناعات اليدوية بما يوفر له م مصدراً للدخل يُحسّن معيشتهم ويرفع من معنوياتهم.

ت – الأهمية الاقتصادية:

يعتمد الإنتاج في الصناعات اليدوية بشكل رئيسي على الأفراد، وغالباً فإنَّ النسبة بين رأس المال والعمالة منخفضة مقارنة مع الصناعات غير اليدوية، ونظراً لتدني النسبة بين رأس المال والعمالة فأنَّ هذا المجال مصدراً قوياً من مصادر توفير فرص العمل كما برهنت الصناعات اليدوية على أنَّها مصدر حيوي للعملات الأجنبية في عدد من الدول النامية حيث يساهم مساهمة

كبيرة من إجمالي العملات التي تحصل عليها بعض الدول من تصدير المنتجات المصنعة في الدولة ويحتسب ذلك ضمن عائدات السياحة للدولة.

يمكن تلخيص الأهمية الاقتصادية للصناعات اليدوية في التالي:

١. إمكانية إيجاد فرص عمل أكبر عن طريق تخصيص موارد أقل مقارنة بمتطلبات الصناعات الأخرى وقابليتها لاستيعاب وتشغيل أعداد كبيرة من القوى العاملة بمؤهلات تعليمية منخفضة.

٢. الاستفادة من الخامات المحلية وخاصة المتوفرة بكميات اقتصادية.

٣. تستطيع المرأة كأم وربة بيت من ممارسة الحرفة في الأوقات التي تناسبها ، وفي الأماكن التي تختارها أو حتى في منزلها.

٤. انخفاض التكاليف اللازمة للتدريب، لاعتمادها أساساً على أسلوب التدريب أثنا ء العمل فضلاً عن استخدامها في الغالب للتقنيات البسيطة غير المعقدة.

٥. المرونة في الانتشار في مختلف المحافظات والقصبات التي تتوفر بها خامات أولية بما يؤدي إلى تحقيق التنمية المتوازنة بين الريف والحضر ويؤدي إلى الحد من ظاهرة الهجرة الداخلية ونمو مجتمعات إنتاجية جديدة في المناطق النائية.

٦. المرونة في الإنتاج والقدرة على تقديم منتجات وفق احتياجات وطلب المستهلك أو السائح.

وتأسيساً على ما تقدم نرى أنَّ للحرف والصناعات اليدوية دوراً وأهمية بالغة، إذ تسهم تنمية وتطوير الحرف والصناعات اليدوية في تنمية المجتمع والتخفيف من الضغط الناجم عن البطالة وتأثيراتها السلبية على المجتمع كأفراد ومنظمات وحكومات ، فضلاً عن دورها في رفع كفاءة الصناعات المحلية والتي تسهم في التعريف بالمهارات والخبرات ال محلية ونقلها نحو آفاق جديدة من خلال الموائمة بين التقنيات الحديثة والحرف التقليدية وهنا تتحقق الفرضية الثانية (تسهم تنمية الحرف والصناعات اليدوية في التخفيف من مشكلة البطالة)، إذ تُعَدُّ البطالة مشكلة تؤرق المجتمع وتنمية هذه الحرف وإعارتها الأهمية الكافية والدعم المناسب يسهم في تشجيع العديد من أفراد المجتمع وتحديدا ممن لم يتمكن من الحصول على فرصة عمل مناسبة تتفق ورغباته ومهاراته ومعارفه.

٥- معوقات ومشكلات الصناعات الحرفية التقليدية:

تعاني الصناعات والحرف اليدوية من عِدَّة مشاكل ومعوقات من ضمنها:

١ - تجاهل الدولة وانشغالها.

٢ – مشاكل إدارة وتسويق منتجات الحرف والصناعات اليدوية ، إضافة إلى مشاكل العمالة الماهرة ، وغياب التوجيهات المس ؤولة للشباب والخريجين لولوج هذ ا الميدان ، وقصور الجهات المعنية في إيجاد معارض لها للتعريف بمنتجاتها.

٣ – تعاني الصناعات والحرف اليدوية من مشاكل مالية تتمثل في القروض ونوعياتها وشروطها ، ومشاكل فنية تتمثل في غيا ب التدريب والإرشاد وبحوث التطوير وغياب المواصفات القياسية اللازمة لمنتجاتها وضعف القدرات الإدارية وعدم توافر المعلومات الهامة لأصحابها، إضافة إلى مشاكل الطاقة.

٤ – الفجوة الرهيبة في المعلومات لدى الجهات القائمة على التنمية الصن اعية عن الصناعات والحرف اليدوية ، مع عدم وجود سياسات ملائمة يمكن أن تسهم في صنع المناخ الملائم لنمو وتطور الصناعات الحرفية والاستفادة منها بالتالي في تنمية المجتمع.

٥ – ضعف البنية التنظيمي ة لقطاع الصناعات والحرف اليدوية ، ضعف العمالة ورءوس الأموال المستثمرة فيه، والتي لا تكاد تذكر عند مقارنتها بقطاع الصناعة بصورة عامة، واقتصار هذه الحرف على أسر محدودة تمارس هذا النشاط منذ سنوات عديدة وتكتسبه بالوراثة، وهو ما يعني احتكار المهنة بأيدي عدد محدود، وتضاؤل هذا العدد مع مرور الزمن، واعتماد العديد منها على المدخلات غير المحلية تجعلها تحت رحمة التقلبا ت الدولية والخارجية فيما يتعلق بأسعار المواد الخام والتسويق وغيره.

٦ – عدم وجود الاهتمام الكافي من جهات التمويل المحلية والأجنبية بهذا النوع من الصناعات الحرفية، والتركيز على المشروعات الكبرى، ومن ثم المشروعات الصغرى والمتوسطة.

٧ – عدم تطور هذا النمط من الصناعات و بما يتناسب مع السلع البديلة، سواء المستوردة أو التي يتم إنتاجها ضمن الورش والمصانع الحديثة، وبتكلفة أقل.

٨– الانتشار السريع لنمط الاستهلاك السريع وتغلغله اجتماعياً وصولاً للشرائح الاجتماعية الدنيا، وجغرافياً لأعماق الريف، أدى إلى تحلل النسيج الاجتماعي الحضاري للمجتمعات المحلية والريفية، والحامل لتراث الصناعات والحرف التقليدية، وإلى إهمال عناصر البيئة المحلية التي قامت عليها هذه الصناعات ومكونات الغطاء النباتي الطبيعي، والمنتجات الثانوية للحاصلات الزراعية، على سبيل المثال. ضعف أجهزة الأعلام في ترسخ قيم احتر ام وحب كل ما هو موروث أو محلي بما في ذلك الصناعات التقليدية.

المحور الرابع: الاستنتاجات والمقترحات

أولا : الاستنتاجات

١. لمنظمات المجتمع المدني دور هام وفعال في إيجاد قوة ثقافية للصناعات والحرف اليدوية ، وفي الاستفادة من أنشطة الصناعات التقليدية لإحداث نهضة اجتماعية ثقافية تسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية للمجتمع تشكل خط الدفاع الذي يحمي ثقافتنا من الاندثار ويصونها من الذوبان في غيرها.

٢. دور منظمات المجتمع المدني في تسويق وتصدير منتجات الصناعات والحرف اليدوية ، باعتبارها من الآليات المبتكرة لفتح أسواق تراثية لتسويق هذه السلع واستغلالها سياحياً واقتصادياً، وتنمية مناطق تواجد وانتشار التراث وتحويلها إلى مراكز تسوق سياحية، باعتبار أنّ التميز المحلى سبيلا للعالمية وتأكيداً للهوية في النطاق الدولي.

٣. تفعيل انعكاسات السمات التراثية على المنتجات الحرفية واليدوية من خلال منظمات المجتمع المدني ، كأحد عناصر الجذب السياحي التي تتمتع بها مناطق إنتاج الصناعات التقليدية والتراثية وإمكانية أن تدرج على قوائم الأهداف السياحية، وبذلك تصبح هذه المنظمات وسيلة لتحقيق نقلة حضارية للقطاع الصناعي مع الحفاظ على أصالته وهويته، وباعتبارها منظومة وبوتقة إبداع ذات سمات حضارية حديثة للصناعات العربية والحرف التقليدية التراثية لتصميمات حديثة ترضى أذواق الزبائن وترفع القيمة الاقتصادية للمنتج.

٤. تفاعل الدولة مع المنظمات من خلال الدعم المقدم منها في شكل تشريعات فاعلة ومنح ومزايا وإعفاءات ضريبية وجمركية وغيرها، يضيف إمكانيات جديدة لواقع الدولة في التحفيز على إبداع تقنيات ذاتية جديدة وتحسين عملية إدارة المحتوى التراثي ومراقبة ومراجعة المنتجات التقليدية والتراثية تاريخياً وفنياً واعتماد جودتها وأصالتها. لأنَّ المنظمات في التجربة العالمية أثبت كفاءة عالية في إمكانية رفع مستوى الجودة وخفض التكلفة وإقامة بيئة إبداعية وطنية قادرة على توفير تصميمات صناعية جديدة ومبتكرة ودعم الكفاءات الاستشارية والتصميمية وتأهيلها لتلبية الحاجات العصرية والمستقبلية لمشروعات الصناعات التقليدية.

٥. دعم الأنشطة الفاعلة لمكافحة وحل مشكلة البطالة وتنمية أنشطة الصناعة التقليدية في الوسط الحضري والريفي وخلق فرص التسهيلات التمويلية والائتمانية لإقامة مشاريع الصناعات والحرف التقليدية، وإنشاء هياكل نوعية للمشروعات التراثية لتحقيق إدارة عصرية واقتصادية

للمشروعات. وبذلك تتيح منظمات المجتمع المدني فرصاً واسعة للأداء الجيد للمشروعات المتوسطة والصغيرة من خلال التعليم والتدريب وبناء القدرات، من تقوية المهارات الإدارية لدى غالبية أصحابها وربطها بالمستوى التعليمي والخبرات العملية.

ثانيا: المقترحات

١- إعادة النظر في واقع هيكل التنظيم الحرفي من حيث الأدوات والأفكار وآلية العمل وإيجاد إستراتيجية جديدة وكوادر فنية مؤهلة تسهم وتشارك في بناء الاقتصاد الوطني بما ينسجم مع التطورات العلمية التكنولوجية الحديثة وزيادة المردود المالي والدعم الحكومي للعائلات والمشاغل في القطاع الحرفي وتنميته.

٢- ضرورة تأسيس منظمات لأصحاب الصناعات الحرفية، والاهتمام الكافي بالتدريب الحرفي، وتشجيع إنشاء المعاهد المتخصصة في التعليم الحرفي مثل مدارس التدريب المهني، وفتح أقسام خاصة بهذا النوع ضمن المعاهد والجامعات العربية باعتبار أنَّ هذه الصناعات، صناعات تسهم في تفعيل السياحة الوطنية وزيادة الدخل القومي،وبالنظر إلى مستقبل الإبداع الحرفي وأثره على الأجيال المتعاقبة. وتشجيع الصناعات الحرفية من قبل الدولة .

٣- تطوير هذه الحرف والنهوض بمستقبلها وتحديثها مع الحفاظ على أصولها التراثية، لأنطوئها على خصائص جمالية تراثية تسمح بدعمها لأهداف فنية، وضرورة الاهتمام بالصناعات الحرفية من قبل منظمات التمويل المحلية والدولية، وذلك من أجل تطوير وتحديث وسائل الإنتاج، ولتتناسب منتجاتها بشكل أفضل مع ذوق المستهلك، والمنافسة في الأسواق الخارجية، مع الاهتمام بإقامة المعارض الدائمة للمساعدة في تسويق منتجاتها داخلياً و خارجياً .

٤- الربط العضوي بين التعليم الفني، على مستوى المدارس والمعاهد الفنية ومقتضيات التنمية الذاتية ودراسة ورصد وتقييم التراث الهائل للصناعات التقليدية، وتبني مشروعات خدمة عامة على نطاق واسع تحت إشراف الأجهزة الفنيۃ المختصة تستهدف الحفاظ على البيئة وتحسينها ومنع التصحر، و الدعم غير المباشر للأنشطة الأولية كالزراعة، وبعض الصناعات التقليدية.

٥- الترويج لمنتجات الصناعات الحرفية واليدوية وإقامة معارض متنقلة لبعض المنتجات التي تتميز بالتعبيرية الحضارية تستهدف تعريف شعوب العالم بالمجتمعات العراقيۃ.

المصادر

أولا : الرسائل والاطاريح

١ – سيد أحمد، محمد عبد الرازق، (٢٠٠٥)، تطبيقات اقتصاديات التنمية في تكوينات الجمعيات التعاونية بالسودان ١٩٤٥م – ٢٠٠٥م – رسالة ماجستير (أكاديمية السودان للعلوم برامج البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية. وزارة العلوم التقانة + معهد الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية – الخرطوم ، السودان.

ثانيا : الكتب العربية

١ – حجازي، ثروت السيد ، (١٤١٤)،الحرف اليدوية في مكة المكرمة (الجزء الأول)، معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

٢ – صبحي، سنية خميس، (٢٠٠١)، أنماط من الأزياء التقليدية في الوطن العربي وعلاقتها بالفلكلور . ط١ . الإسكندرية.

ثالثا : المجلات العلمية العربية

١– الجنحانى، الحبيب ، (١٩٩٩)، المجتمع المدني بين النظرية والممارسة، مجلة عالم الفكر، العدد الثالث، المجلد السابع والعشرون، الكويت.

٢ – خليل ، حامد، (٢٠٠٠) الوطن العربي والمجتمع المدني، كراسات إستراتيجية ، مجلة فصلية تصدر عن مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية ، جامعة دمشق ، لعدد الأول – السنة الأولى – خريف.

٣ – السبعاوي، هناء جاسم ، (٢٠١٢)، الحرف الشعبية من وجهة نظر المجتمع الموصلي دراسة ميدانية ، مجلة دراسات موصلية، العدد (٣٦)، نيسان.

٤ – الصابوني، حلا و السرميني، علي، (٢٠٠٩)، ملخص الفن الإسلامي في المشرق العربي منذ نشأته حتى القرن العاشر الميلادي في نماذج من الفنون الجدارية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثاني.

رابعا : المؤتمرات العلمية

١ – عياد، هاشم، (١٩٩٧)، فنون الصناعات التقليدية : الفن التشكيلي الشعبي بين الأصالة والحداثة، الندوة الوطنية الأولى للصناعات التقليدية، ليبيا.

خامسا: شبكة الانترنت

١ – أصي ل، س الم، (٢٠١٠)، الحرف الي دوية التقليدية هل نحافظ عليها ؟ ، http://kunoooz.com.

٢ - كامل، ملك، (٢٠١١)، الحرف والصناعات اليدوية وأثرها على التنمية ، http://areeb-aree.blogspot.com.

٣ – عبد المطلب، حسين ، (٢٠٠٦)، دور المشروعات الصغيرة وال متوسطة في تنمية الصناعة العربية، http://www.alokab.ps .

٤ – موسى، سعيد ياسين، (٢٠١٢)، دور منظمات المجتمع المدني في التنمية ، http://www.ahewar.org.

سادسا: الكتب الأجنبية

1- Edwards , Michael ,(2009) ,"For Cora My Own Civil Society" , Polity Press , U K .

سابعا : المجلات العلمية الأجنبية

1- Albayrak , Mevhibe, (2012), The role of Geographical indication in brand making of Turkish handcrafts , Indian Journal of Traditional Knowledge , Vol.11 .

2- Azimi , Nasserali , Janet Blake, Seyed Mohammad Mojabi, (2010), The Role of Cultural Heritage in Achieving Environmentally Sustainable Tourism – Implications for Iran , ENVIRONMENTAL SCIENCES Vol.7, No.3 .

3-- Lee ,Lung-Sheng, Liang-Te Chang, Kuen-Yi Lin, Yu-Chuan Lee, Ming-Jiuan Wu & Sheng-Wei Lin, (2010) , Skills standards for the cultural and creative industry of bamboo handicraftsmen in Taiwan , World Transactions on Engineering and Technology Education 2010 WIETE Vol.8, No.3.

4- Salamon, Lester M., (2010) , PUTTING THE CIVIL SOCIETY SECTOR ON THE ECONOMIC MAP OF THE WORLD , Wiley Online library , Vol.81, Issue. 2 .

5- SAURUGGER, SABINE, (2009), The social construction of the participatory turn: The emergence of a norm in the European Union , European Journal of Political Research, Vol.49, Issue.4.